المسرح المصرى

فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للاستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا : أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح . وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأه المؤاخذ نفسه من نسج خياله !

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من « الرسالة » أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى « مسمار جحا » و « دنشواى الحديثة » فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرماني به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على ، وللأستاذ الفاضل أن يرمى منه فى كلأ مباح !

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشاً به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية ، وفى مدى قيام مذهب « الفن للفن » l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم ، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز :

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب « الفن للفن » ما زال موجودا فى الحياة ، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب « الفن للحياة » ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب « الفن للفن » بانقضاء القرن التاسع عشر ، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن « الخالص » مرادف تماما للفن « الفارغ » ! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها ، وانتهى تماما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية ، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار ! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته العادية النابضة بالحياة . ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل؟ أين هم ؟ وما آثارهم تلك ؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحدا فردا له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين ! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير ، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة ، بل إنه لا علاقة لهما بتاتا بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والموضوع : فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة ، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل ما فى الحياة من نقص وظلم وفساد ، وأن عليهم نقع — أول ما نقع — نبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا ؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عداوة لها ؟ ولماذا يرميها بأنها « نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية » ... وهى ليست من

كل ذلك فى شئ ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بعناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه عليها وقلبه معها ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية العريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والغمض ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسمى جاهدا لتكون الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يسعدون بالعيش فيه . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجـــودية » شذوذا وانحرافا كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم ؛

وإن شرح ما فى هـذا المذهب من المزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلمتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من «الرسالة» لعدل من رأيه كثيرا ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « الـسوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريبا ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط هم الرجال عن القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوما إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهـدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلا قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أنى كنت ذا هوى لكان هواى مع هذه الفرقة لاعليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضوا فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يسمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليتظم الأستاذ الجليل أننى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم، ولـست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتبا لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أتعام فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو الماضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من الريح » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه :—

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة من فوق منبر « الرسالة » ونعنى بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بواكير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس اشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لرغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولكن هؤلاء المشفقين انقلبوا حشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور . وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى تكران الذات، فما رأينا واحدا منهم حاول فى موقف له أن يستطيع على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجدا يراه حقا له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى مالقوه من ثقافة ومعرفة حرمهما الكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية النـدم أو التيار لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـذا الكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بي ويغمزني غمزة يحسبها تنال مني إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لي كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول في الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الكلام الذي قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أني أمقت أن أتحدث عن نفسي لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التي كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ولكن هذا انحدار بقدري لا أرضاه لنفسي

ويزيد الأستاذ فيأخذ على أنني لم أحاسب الفرقة الأخرى التي لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعني بها فرقة الأستاذ يوسف وهبي . وهذا كلام له خبيء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أنني لا تربطني بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشيء في سبيل خدمة العقيدة الوطنية لكان مسابنا لها عسيرا ، ولكنها لم تفعل ، وليس في وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها في ذلك مقصرة مسرفة في التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذي يدق في قلب كل مصري فجاءت كل مسرحية منهما تعكس في مشاهدها صورا ورؤى مما يمر برؤوسنا في هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » ولست أعيد هنا ما قلته في كلمتي الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما عن هذه المعاني ؛ ولكني أزيد فأقرر بأنني عندما أعلنت رأيي هـذا للصديق الكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لي أنه لم يؤلف مسرحيته في هذه الأيام ولكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدي الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجري في مصر على هذا النحو الذي جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه ، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيي هذا في رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدي الفرقة في هذا الوقت الذي يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يمر برؤوسنا في هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرني مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب إليه الأستاذ الجليل زكي طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجعله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لي الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعاني لشهودها في « اللوج » الخاص به في أول ليلة قدمت فيها ، قال لي على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لترى في أسوأ حالاتي ! فهل كنت متجنيا ظالما في هذا الرأي الهادىء الذي أعلنته عن المسرحيتين في لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدي الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك في كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضه صديقنا الأستاذ عبد الفتاح البارودي ، ولكن الأستاذ الجليل زكي طليمات يرميني بأنني أعتسف النقد اعتسافا وذلك في الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح ما يقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذي يعرف الناس أنهاله

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا في المعنى الذي قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعني بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعني دنشواي الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافي » كما وصفها بحق صديقنا البارودي

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى في بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيدا والاستاذ عذره في هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح